

ما أثر أبي إسحاق الصابي في تأليف "نهج البلاغة"؟

راشد بن مبارك الرشود

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود،

المملكة العربية السعودية

(قُدِّم للنشر في ١١/٤/١٤٤٠هـ، وقُبِل للنشر في ٣٠/٦/١٤٤٠هـ)

الكلمات المفتاحية: أبو إسحاق الصابي، الشريف الرضي، نهج البلاغة، علي بن أبي طالب، نثر عباسي.
ملخص البحث: هذه الدراسة تبحث أثر أبي إسحاق الصابي في تأليف كتاب "نهج البلاغة"، معتمدة في ذلك على بعض القرائن والأدلة؛ ومنها تلك العلاقة الوثيقة بين الشريف الرضي الشاب الطموح جامع الكتاب وأبي إسحاق الصابي الكاتب الكبير، وبخاصة تلك العلاقة الأدبية التي تجمعها، ومعتمدة كذلك على دراسة الصفات التي تميز بها الصابي، وجعلته أحد الكتاب الكبار في القرن الرابع الهجري، والصفات التي رشحته لدى الشريف الرضي للاستفادة منه في تأليف نهج البلاغة. ثم قارنت الدراسة -بمنهج أسلوبى مقارن- بين بعض النصوص من كتاب نهج البلاغة ومقتطفات من تأليف أبي إسحاق الصابي؛ ليتبين للباحث التشابه الكبير الذي قد يصل إلى حد التوافق في الأساليب والتراكيب والألفاظ، وليرجح لديه تأثير أبي إسحاق الصابي في تأليف الكتاب بطريقة غير مباشرة؛ إما باقتفاء طريقته في الكتابة، أو عن طريق اجتلاب بعض نصوصه وتضمينها في الكتاب.

What was the Impact of **Abi Ishaq As-Sabi** in the Writing of the Book of **Nahj al-Balaghah**?

Rashed M. Al-Rushood

*Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts,
King Saud University*

(Received 11/4/1440; Accepted for publication 30/6/1440H)

Keywords: Abu Ishaq As-Sabi, Ash-Shareef Ar-Radhi, Nahj al-balaghah, Ali bin Abi Talib, Abbasid Prose.

Abstract: This study attempts to find an answer to whether Abu Is-haq As-Sabi had an influence in the writing of "Nahj Albalaghah" book, basing on some pieces of evidence. One piece of evidence is the strong relationship, especially that of a literary one found between the ambitious young man, Ash-Shareef Ar-Rradhi, who is the compiler of the book, and the great writer, Abu Is-haq As-Sabi. Another piece of evidence is relying research on studying the traits that are attributed to As-Sabi which made him one of the greatest writers of his time, and analyzing the characteristics that nominated him to be one of those who had relationship with the composition of "Nahj Albalaghah" book. Using a stylistics method, the study attempts to compare between some of texts extracted from "Nahj Albalaghah" and some pieces of Abu Is-haq As-Sabi writings. The researcher found a great similarity in terms of style, structure and choice of word, which could be identical in some cases. The results are likely to consider that Abu Is-haq As-Sabi had an influence in the composition of the book, indirectly by adopting his style in writing or retrieving his texts and including them in the book.

المقدمة

انتقد كثير من العلماء والباحثين كتاب نهج البلاغة، وشككوا في صحته، ونظروا إليه من ناحيتين: من الناحية الخارجية، حيث انتقدوا خلو الكتاب من الأسانيد التي تثبت تلقي الشريف الرضي لما فيه من خطب ورسائل وغيرها عن طريق الإسناد؛ فقد جُمع كتاب "نهج البلاغة" بعد وفاة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقرابة أربعة قرون، فجامع الكتاب الشريف الرضي توفي سنة (٤٠٦هـ)، وأمير المؤمنين علي توفي سنة (٤٠هـ)، وليس هناك إسناد متصل بينه وبين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهذا أمر غريب لم يعهد في تاريخ الأمة؛ فالأمة الإسلامية - كما هو معروف - امتازت عن غيرها من الأمم بدقة توثيقها للأقوال النبوية وأقوال الخلفاء من بعده صلى الله عليه وسلم، وبراعتها في مثل هذا الفن عن طريق الأسانيد التي تثبت صحة نص من عدمه مهما كان هذا النص. روى الخطيب البغدادي عن محمد بن حاتم بن المظفر أنه قال: "إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياءهم، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات..." (البغدادي، د.ت،

شرف أصحاب الحديث ص: ٤٠، وانظر:

السخاوي، ٢٠٠٣: ٣/٣٣١).

وقد حرص سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على التحري في نقل الأخبار، وموافقهم وكلامهم في هذا المعنى كثير. ويوضح ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن محمد بن سيرين رحمه الله، قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم" (مسلم، ١٩٩١: ١/١٥).

بل إن كتب الأخبار والتاريخ والأدب والشعر مليئة بالأسانيد التي تثبت اتصال الراوي بالمروي عنه مهما تباعدت الأزمنة حتى عصور التدوين؛ وخير مثال على ذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، فهو - بغض النظر عما قيل في صحة أسانيد - لا يروي أخبار الشعراء والأدباء وحتى المغنين إلا بعد أن يذكر أسانيدها.

وقد كان عدم وجود الأسانيد في نهج البلاغة مثار انتقاد العلماء، ومجالاً للتشكيك في صحة الكتاب؛ فهذا ابن تيمية يلحظ عدم وجود الأسانيد في كتاب نهج البلاغة؛ فيقول منتقداً: "وهذه الخطب المنقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها، بل أكثرها لا يعرف قبل هذا علم أن هذا

وأمثاله أخذوا كثيرا من كلام الناس فجعلوه من كلام علي، ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره" (ابن تيمية، ١٩٨٦: ٨/٥٥).

بل جزم الإمام الذهبي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب على علي رضي الله عنه فقال في ميزان الاعتدال: "من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل" (الذهبي، ١٩٦٣: ٣/١٢٤).

ومن المحدثين الذين شككوا في نهج البلاغة محمد كرد علي الذي قال: "ومن ذلك نهج البلاغة الذي ألفه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، روى فيه خطباً وكلاماً يستحيل أن يقوله، ومنه ما لا يصدر عن عربي من أهل الصدر الأول، لأن فيه ألفاظاً من مصطلحات القرن الثاني والثالث" (كرد علي، ١٩٦٨ ص: ٦٠-٦١).

وتبعه في ذلك أحمد أمين الذي تحدث عن نهج البلاغة في كتابه فجر الإسلام حيث قال: "ونسبوا إليه ما في نهج البلاغة، وهو يشتمل على كثير من الخطب والأدعية، والكتب والمواعظ والحكم، وقد شك النقاد

كذب، وإلا فليبين الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك، ومن الذي نقله عن علي، وما إسناده، وإلا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد" (ابن تيمية، ١٩٨٦: ٨/٥٥-٥٦).

ومن الناحية الداخلية لنصوص نهج البلاغة، فقد أقر كثير من العلماء في القديم والحديث أن كثيراً مما نسب في نهج البلاغة لعلي رضي الله عنه ليس له، ومن أوائل العلماء الذين شككوا في نسبة النهج الخطيب البغدادي الذي يقول: "ونظير ما ذكرناه آنفاً أحاديث الملاحم، وما يكون من الحوادث؛ فإن أكثرها موضوع وجلها مصنوع، كالكتاب المنسوب إلى دانيال، والخطب المروية عن علي بن أبي طالب" (البغدادي، د.ت الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٢/١٦١).

وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية الحديث في هذا الموضوع فقال: "فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب "نهج البلاغة" كذب على علي، وعلي رضي الله عنه أجل وأعلى قدرًا من أن يتكلم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب، وظنوا أنها مدح، فلا هي صدق، ولا هي مدح. ومن قال إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق فقد أخطأ، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم فوق كلامه، وكلاهما مخلوق.

وأيضاً؛ فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في كلام غيره، لكن صاحب نهج البلاغة

تناول نهج البلاغة بالدراسة من الناحية الأسلوبية، حيث تبين من خلال تلك الدراسة أن كثيراً مما نسب في نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليس له، ولم يقله، ولم يخطب به، ولم يرسل معظم هذه الكتب الواردة في النهج (انظر الرشود، ٢٠١٩).

وبناء على الشبهات التي دارت حول نهج البلاغة، والتأكيدات على وضعه، والدراسات السابقة التي أجريت حوله برز سؤال كبير؛ ومضمونه إذا كان كثير مما تضمنه نهج البلاغة ليس لعلي رضي الله عنه، فمن انتحل هذا النثر، وخطب هذه الخطب، وكتب تلك الرسائل؟

ولما كان هذا النثر المنحول في نهج البلاغة تظهر عليه خصائص النثر في القرن الرابع الهجري، فقد بدأ الباحث يقرأ فيما كتبه كبار كتاب القرن الرابع الهجري، وبخاصة أولئك الذين حصرهم صاحب ابن عباد^(١) في أربعة، حينما قال: " كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد^(٢)، وأبو القاسم عبدالعزيز

في مجموعها قديماً وحديثاً، كالصفدي وهوار Huart، واستوجب هذا الشك أمور: لما في بعضه من سجع منمق، وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر" (أمين، ١٩٦٩ ص: ١٤٨-١٤٩).

وقال أيضاً: " وفيه من تعبيرات إنما حدثت بعد أن نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، وبعد أن دُوت العلوم، كقوله: (الاستغفار على ستة معانٍ، والإيمان على أربعة دعائم) وكالذي من وصف الدار وتحديدها بحدود أشبه بتحديد الموثقين، كقوله: (تجمع هذه الدار حدوداً أربعة، الحد الأول: ينتهي إلى دواعي الآفات... الخ). هذا إلى ما فيه من معانٍ منمقة لم تعرف إلا في العصر العباسي كما ترى في وصف الطاووس" (أمين، ١٩٦٩ ص: ١٤٩).

كما شكك محمد طاهر درويش أيضاً في النهج حين قال: " وفي نهج البلاغة وصف للطاووس والخفاش والزرع والسحاب وغيرها من خلق الله... فهذا الكلام المنمق في هذه المعاني، قد جاء في أسلوب أشبه بأساليب العصر العباسي منه بأسلوب عصر علي رضي الله عنه" (درويش، ١٩٦٥: ١/٣٣٢-٣٣٣).

وقد قام صبري إبراهيم السيد بإعادة جمع تهج البلاغة معتمداً على ما روي في كتب التراث العربي قبل عصر الشريف الرضي، وثبتت نسبته إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (السيد، ١٩٨٦).

وكان آخر هذه الدراسات ما قام به الباحث من

(١) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٣/٢٢٥-٣٣٧)، وانظر أيضاً (مبارك، ١٩٧٥: ٢/٢٩٦-٣١٥).

(٢) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٣/١٨٣-٢١٣)، وانظر أيضاً (مبارك، ١٩٧٥: ٢/٢٣٥-٢٥٥)، و (الداية، ١٩٨٠: ١٦٥-١٦٨)، و (مناع، ٢٠١١: ٣٠١-٣٠٣).

أولها: إلى أي حد كانت العلاقة بين الشريف الرضي^(٣) وأبي إسحاق الصابي قوية ومتمينة؟^(٤) لا بد من القول أن هناك فارقاً كبيراً في السن بين الرضي والصابي يقدر بأكثر من خمس وأربعين سنة أو نحوها؛ فقد وُلد الصابي عام ٣١٣هـ كما قال ياقوت الحموي (الحموي، ١٩٩٣: ١/١٣١)، نقلاً عن حفيد الصابي أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي؛ فيكون عمره بذلك حوالي إحدى وسبعين سنة. ولكن يمكن أن يقال إنه ولد عام ٢٩٣هـ بناء على أن عمره عند وفاته سنة ٣٨٤هـ إحدى وتسعين سنة، حيث يقول في إحدى قصائده: (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٣٥٥، والصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص: ١٥، وفيه (ابن سبعين) بدلا من (ابن تسعين):

فقد حملت مني ابن تسعين سالكاً

سبيلاً عليها يسلك الثقلان

وقد كان إنشاء هذه القصيدة التي قيل فيها هذا البيت قبيل وفاته بعدة أشهر، أي في رجب من سنة

ابن يوسف^(٥)، وأبو إسحاق الصابي^(٦)، ولو شئت لذكرت الرابع، يعني نفسه" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٩٢). وقد حاول الباحث أن يربط بين هذه القراءات وما احتواه نهج البلاغة من خطب ورسائل، ثم علاقة أولئك الكتاب بجامع النهج، الشريف الرضي؛ فتكشفت أمور يمكن أن يبنى عليها بحث أراه مهماً؛ بعد معرفة العلاقة التي كانت تربط بين الشريف الرضي جامع النهج وأبي إسحاق الصابي، أحد كتاب الدنيا الأربعة الذين ذكرهم صاحب بن عباد في مقولته. فركزت الدراسة على هذه العلاقة، وحاولت التعمق فيها؛ لتبين ما إذا كان لها أي أثر في كتابة نهج البلاغة.

من هنا برزت عدة تساؤلات سيجيب عنها هذا البحث بشكل متتال:

(٣) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٣/١٥٥-١٧٨)، و(مبارك، ٢٠١٢)، و(عباس، ١٩٥٩)، و(حسن، ١٩٧٠)، و(الداية، ١٩٨٠: ١٠٠-١٠٤)، و(المطرودي، ١٩٨٤)، و(الحلو، ١٩٨٦)، و(أبو عليوي، ١٩٨٦).
(٤) عن العلاقة بينها انظر (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١)، و(الحلو، ١٩٨٦: ١/١٢٥-١٣٥)، و(أبو رسلان، ١٩٨٧: ١٠٠-١٢٨)، و(نور الدين، ١٩٩٠: ص ٧٣-٧٧)، و(السعدي، ٢٠٠٩، ص: ١٠٣-١١١).

(١) انظر ترجمته لدى (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٣٦٩-٣٨٢)، وانظر أيضاً (مبارك، ١٩٧٥: ٢/٤٣٥-٤٤٠).
(٢) انظر ترجمته لدى (الحموي، ١٩٩٣: ١/١٣١-١٥٨)، كما ترجم له (الثعالبي، ١٩٨٣، وأورد مختارات من كتاباته وأشعاره: ٢/٢٨٧-٣٦٨)، وانظر أيضاً (قناوي، ١٩٣٧)، و(ضيف، ١٩٥٦: ١٤٨-١٥٢)، و(مبارك، ١٩٧٥: ٢/٣٥٣-٣٦٧)، و(أبو رسلان، ١٩٨٧)، و(الديباجي، ١٩٨٩: ٥٣-١٢٤)، و(السعدي، ٢٠٠٩).

القديمة بين أبي أحمد الموسوي والد الشريف وأبي إسحاق الصابي (الخلو، ١٩٨٦: ١/١٢٦)، فقد كان أبو أحمد نقيب الطالبين في ذلك العهد وأمير الحج^(٣)، والصابي كان كبير كتاب الديوان الذي كتب العهد بتوليته حيث أسبغ عليه في ذلك العهد من المآثر والمزايا ما تتطلع إليه هامات الرجال^(٤). فمن الطبيعي أن تنشأ بينهما علاقة بدايتها تكون رسمية كعلاقة المسؤول بالمسؤول في الدولة، ثم تزداد متانة مع مرور الأيام حين تجمعها المشتركات الاجتماعية والأدبية والنفسية بين شخصيتيها. وقد سجنا كلاهما في الحقبة نفسها

أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة (الثعالبي، ١٩٨٣: ٣٥٤/٢، والصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ١٥)، ويقول الثعالبي عن وفاته: "توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٦٣)، ويرجح الأستاذ عبد العظيم علي قناوي الرأي الأخير بأنه مات لتسعين سنة لعدة أسباب ذكرها في مقالته عنه (قناوي، ١٩٣٧: ٣٦). بينما ولد الشريف الرضي سنة ٣٥٩هـ وتوفي سنة ٤٠٦هـ^(٥)؛ فيكون عمر الرضي عند وفاة الصابي خمسة وعشرين عامًا تقريبًا.

وعلى الرغم من ذلك الفارق الكبير في السن، فقد نشأت بينهما علاقة^(٦) قوية لعدة أسباب منها العلاقة

= ثالثاً: قد يكون حفيد أبي إسحاق الصابي صادراً في حديثه عن غير ترو وتدبر؛ لأن حديثه يسمع وينسى، لا كما يصدر عن مؤلف يتحرى الصدق، ويلتزم جادة الدقة؛ لأنه خبر يخلد ويبقى.

رابعاً: سن السبعين لا توهي جلدًا، ولا توهن عظمًا، وإن كان صاحبها متزاحمة عليه النائبات، مولعة به النكبات إلا في القليل النادر".

(٣) تولى أبو أحمد نقابة الطالبين أكثر من مرة، إحداها عام ٣٥٤هـ (انظر ابن الأثير، ١٩٨٧: ٧/٢٩٠)، والأخرى عام ٣٨٠هـ (انظر ابن الأثير، ١٩٨٧: ٧/٤٤٨)، ولمزيد من المعلومات عن أبي أحمد انظر (المطرودي، ١٩٨٤: ١٠-١٤)، و(الخلو، ١٩٨٦: ١/٢١-٥٤)، و(أبو عليوي، ١٩٨٦: ٦٧ وما بعدها).

(٤) انظر نص العهد لدى (الصابي، د.ت: ص ١٢٣-١٢٥)، و(ابن حمدون، ١٩٩٧: ٣/٣٥٧-٣٦٠).

(١) (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٨/٩١)، وانظر (الخلو، ١٩٨٦: ٢١/١).

(٢) والأسباب التي ذكرها هي:

"أولاً: يكاد أبو منصور الثعالبي يعدُّ معاصرًا لأبي إسحاق الصابي؛ فقد توفي أبو منصور عقبه بنحو خمس وأربعين سنة، وهو أمد قصير في أعمار التاريخ والمؤرخين.

ثانياً: السن التي ذكرها صاحب اليتيمة وردت في قصيدة لأبي إسحاق إذ يقول:

فقد حملت مني ابن تسعين سالگًا

سبيلًا عليها يسلك الثقلان

وقد كان إنشاء هذه القصيدة قبل وفاته بنحو أربعة أشهر.

الصابئة^(٢) - عالماً بالنجوم والتنجيم؛ فعمل قراءته لطالع الرضي أوحى إليه - في اعتقاده - بذلك والله أعلم. لذلك قال فيه: (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص ٤٠، وانظر الشريف الرضي، ١٩٩٤: ١٩٩/٢ - ٩٠):

أبا حسن، لي في الرجال فراسة
تعودتُ منها أن تقول فتصداقاً
وقد خبرتني عنك أنك ماجد
سترقى من العلياء أبعد مرتقى

(٢) والصابئون كما يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر... الخ الآية): بعد أن ذكر رأيين فيمن هم الصابئة قال: "وثالثها: وهو الأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب ثم لهم قولان؛ الأول: أن خالق العالم هو الله سبحانه، إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب، واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم. والثاني: أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، والخالقة لها، فيجب على البشر تعظيمها؛ لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم، ثم إنها تعبد الله سبحانه). (الرازي، ١٩٨٣: ١١٣/٣). وعن الصابئة انظر (الشهرستاني، ١٩٦٨: ١١٥-٦٣/٢)، و(عليان، ١٩٧٦)، و(الحسني، ١٩٧٨)، و(أبو رسلان، ١٩٨٧: ص: أ-م)، و(حمادة، ١٩٩٢)، و(برنجي، ١٩٩٧)، و(المدني، ٢٠٠٩)، و(سيوفي، ٢٠١٠)، و(شكر، ٢٠١٦).

تقريباً لمدد متقاربة. وإن اختلف مكان سجنهما؛ فأبو أحمد والد الرضي قُبض عليه، ورُحِّلَ إلى فارس، وسُجِنَ في إحدى قلاعها من عام ٣٦٩هـ إلى عام ٣٧٢هـ (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٣٩١/٧ و٤٠٧)، وأما الصابي فسُجِنَ في بغداد في دار المطهر بن عبدالله (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٣٦٣/٦)، في المدة من عام ٣٦٧ إلى عام ٣٧١هـ (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٤٠١/٧، والحموي، ١٩٩٣: ١٣٥/١).^(١) وقد أمر بسجنهما عضد الدولة البويهبي عندما سيطر على بغداد. وأطلق سراحهما ابناه بعد وفاته؛ الصمصام حاكم بغداد من بعده الذي أفرج عن الصابي، وشرف الدولة حاكم فارس الذي أفرج عن أبي أحمد الموسوي. كما رد شرف الدولة أملاك أبي أحمد المصادرة عندما استولى على بغداد عام ٣٧٦هـ (ابن الأثير، ١٩٨٧: ٤٢٨/٧).

ومن أسباب توثق هذه العلاقة أيضاً استشراق الصابي لنباهة الشريف الرضي، وعلو قدره، وتنبؤه له بمستقبل زاه؛ فقد كان الصابي - شأنه شأن كثير من

(١) وحسب ابن الأثير، فإن سبب سجنه "أنه كان يكتب عن بختيار [المتولي على بغداد حينها] كتباً في معنى الخُلف الواقع بينه وبين عضد الدولة فكان ينصح صاحبه؛ فمما كتبه عن الخليفة الطائع لله إلى عضد الدولة في المعنى، وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه، فتزحزح له عن سنن المساواة، فنقم عليه عضد الدولة ذلك" ٤٠١/٧.

مسموع، حيث قال: (الشريف الرضي، ١٩٩٤:

١/٢٥٣):

دعني أخطر بالحياة وإنما

طلب الرجال العز ضرب قداح

أما لقاء الملك قسراً، أو كما

لقى ابن حجر من يدي الطماح

بل إنه تخيل نفسه توج بالخلافة، وأصبح أميراً

للمؤمنين حين قال: (الشريف الرضي، ١٩٩٤:

١/٤٠٩):

هذا أمير المؤمنين محمد

كرمت مفارسه وطال المولد

أو ما كفاك بأن أمك فاطم

وأبوك حيدرة وجدك أحمد

ودلالة على توثق الصداقة بينهما، فإن الصابي هو

الذي كتب العهد الذي كلف بموجبه الرضي بعمل

والده؛ حيث كان أبوه أبو أحمد الموسوي نقيب

الطالبين، وكان أميراً للحج في زمن الخليفة وناظراً

في المظالم قبل عزله وسجنه، وبعد خروجه من

السجن أعيدت له مناصبه على أن يقوم ابنه الرضي

بمهامه بعد أن ضعف وكبرت سنه، وذلك عام

٣٨٠هـ، وأضيف إلى الرضي تقليده منفرداً النظر في

أمور المساجد بمدينة السلام (الصابي والشريف

الرضي، ١٩٦١ ص ٧٣). فكتب الصابي ذلك العهد

الذي كلف بموجبه الرضي بهذه المناصب الكبيرة،

فوقيتك التعظيم قبل أوانه

وقلت: أطال الله للسيد البقا

وأضمرت منه لفظة لم أبح بها

إلى أن أرى إطلاقها لي مطلقاً

فإن عشت أو إن مت فاذكر بشارتي

وأوجب بها حقاً عليك محققاً

وكن لي في الأولاد والأهل حافظاً

إذا ما اطمأن الجنب في موضع البقا

وقد تفاعل الشريف الرضي مع هذه القصيدة،

وصدق تلك النبوءة؛ فقال مجيباً للصابي مستعيراً بعض

ألفاظه: (الشريف الرضي، ٢: ١٩٩٤/٩٠-٩٢،

والصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٤٤):

وإن تُسلف التبجيل قبل أوانه

أعُضك به وجهاً من الود مونقاً

وإن تعطني الإعظام قولاً فإنني

سأعطيك فعلاً منه أذكى وأعبقاً

لعل الليالي أن يبلغن مُنيّة

ويقرعن بي باباً من الحظ مغلقاً...

فإن قعدت بي السن عنها فإنه

سينهض بي مجدي إليها محققاً

فو الله لا كذبت ظنك إنه

لعارٌ إذ ما عاد ظنك مخفقاً

ولم يكتف بإضمار عزمه على الاستيلاء على الخلافة

في نفسه، بل إنه بدأ يفكر في هذا الأمر بصوت

بطلب من الشريف الرضي نفسه كما سيمر معنا في أثناء هذا البحث.

ولقد ازدادت هذه العلاقة توثقاً بين الشريف الرضي والصابي من قبل كتابة هذه العهود وبعدها، واستمرت سنوات في حياة الصابي، وبقيت حتى بعد موته؛ فقد كانت بينهما زيارات متبادلة، ومراسلات كتابية، وقصائد شعرية، أثنى كل واحد منهما على صاحبه، حتى ذكر ياقوت أن بينهما "مودة ومكاتبات... مع اختلاف الملل وتباين النحل، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين والنسب" (الحموي، ١٩٩٣: ١/ ١٣١)؛ فإذا كان الصابي توسم في الرضي النبوغ والوصول إلى مراتب عالية، ومناصب سامية كما بينتها آياته السابقة، فإن الرضي بادلته الشناء بالثناء والمودة بالمودة والتقدير بالتقدير، وزاد عليه بالتفدية بالعمر والشباب، فقال فيه: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ٢/ ٥٤١-٥٤٢، وانظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص ٢٥):

ولو أن لي يوماً على الدهر إمرةً
وكان لي العدو على الحدثنان
خلعتُ على عطفك بُرد شبيبي
جواداً بعمري واقتبال زماني
وحملتُ ثقل الشيب عنك مفارقي
وإن فلّ من غربي وغضّ عناني

ونابَ طويلاً عنك في كلِّ عارضٍ
بخطِّ وخطوٍ أخصي وبناني

وعندما توفي الصابي رثاه الشريف الرضي بقصائد متعددة، منها قوله من قصيدة رثاء طويلة بلغت أكثر من ثمانين بيتاً: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ١/ ٣٨١-٣٨٥، وانظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١: ص ٤٥-٥٥):

أَعْلَمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ
أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَادِي
مِنْ وَقَعِهِ مَتَّعَ الْإِزْبَادِ
ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى
أن الثرى يعلو على الأطواد
بعداً ليومك في الزمان فإنه
أَفْدَى الْعِيُونَ وَفَتَّ فِي الْأَعْضَادِ
لَا يَنْفِدُ الدَّمْعُ الَّذِي تُبْكِي بِهِ
إِنَّ الْقُلُوبَ لَهُ مِنَ الْأَمْدَادِ...
ثكلتك أرض لم تلد لك ثانياً
أَنْتِي وَمِثْلُكَ مَعْمُوزَ الْمِيْلَادِ
مَنْ لِلْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ إِنْ هَمِي
ذاك الغمام وعبّ ذاك الوادي
من للملوك يجز في أعدائها
بَطْبُي مِنَ الْقَوْلِ الْبَلِيغِ حِدَادِ؟

من للمالك لا يزال يلمها
بسداد أمر ضائع وسداد؟
مَنْ لِلجَحَافِلِ يَسْتَزِلُّ رِمَاحَهَا
ويرد رعلتها بغير جلاذ؟
من للموارق يسترد قلوبها
بِزَلِّ الإِبْرَاقِ وَالإِرْعَادِ؟
وَصَحَايِفِ فِيهَا الأَرَاقِمُ كَمَنْ
مرهوبة الإصدار والإيراد
تدمى طوائعها إذا استعرضتها
مِنْ شِدَّةِ التَّحْذِيرِ وَالإِيعَادِ
حمر على نظر العمدو كأنما
بدم يخط بهن لا بمداد
يُقَدِّمَنَ إِقْدَامَ الجُيُوشِ، وَبَاطِلٌ
أَنْ يَنْهَزَ مَنْ هَزَائِمَ الأَجْنَادِ
فَقَرَّ بِهَا تُمَسِّي الملوک فقيرة
أبدًا إلى مبدى لها وَمَعَادِ
وتكون صوتًا للحرون إذا ونى
وَعِنَانَ عُنُقِ الجَاحِمِ المْتَادِ
تَرَقِي، وَتَلْدَعُ فِي القلوبِ، وَإِنْ يَشَا
حَطَّ النَّجُومَ بِهَا مِنَ الأَبْعَادِ
وقد أخذ معاني البيتين السادس عشر والسابع عشر
من معاني الصابي وألفاظه، دلالة على التعلق به، وعمق
الصلة بينهما، وتغنيًا بالشعر الذي كان الصابي يفخر فيه
بنفسه، حين قال: (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٣٢٢، وابن

حمدون، ١٩٩٧: ٥/٣٩٩):
ولي فقرٌ تضحي الملوک فقيرة
إليها لدى إحداثها حين تطرُقُ
أردُّ بها رأس الجموح فيثنني
وأجعلها سوط الحرون فيعتقُ
واستمر وفيًا له بعد موته لسنوات طويلة، حتى إذا
مر على قبره بعد عشر سنوات رثاه، مؤكدًا وفاءه
للصابي، وتقديره له بقوله: (الشريف الرضي، ١٩٩٤:
٧٥/٢-٧٦، وانظر الصابي والشريف الرضي،
١٩٦١: ص ٦١-٦٢):
لولا يذم الركب عندك موقفي
حَيِّتُ قَبْرَكَ، يَا أَبَا إِسْحَاقِ
كَيْفَ اشْتِيَاقَكَ مُذْ نَأَيْتَ إِلَى أَخِ
قَلِقِ الضَّمِيرِ إِلَيْكَ بِالأَشْوَاقِ
هل تذكر الزمن الأنيق وعيشنا
يجلو على متأمل ومذاق
لا بد للقرباء أن يتزايلوا
يَوْمًا، بَعْدَ قَلِيلٍ وَعُذْرٍ فِرَاقِ
أمضي وتعطفني إليك نوازع
بتنفس كتنفس العشاق
وأذود عن عيني الدموع ولو خلت
لجَرَّتْ عَلَيْنِكَ بَوَابِلُ غَيْدَاقِ
وَلَوْ أَنَّ فِي طَرْفِي قَدَاةً مِنْ نَرَى
وَأَرَاكَ مَا قَدَّيْتَهَا مِنْ مَاقِي

الرؤوم بيكرها وقد فقدته، والبُعوم بطلاها وقد أضلته،
وسلبنيه الزمان آنس ما كنت بفضلها، وأحوج ما كنت
إلى مثله، شاحداً لخاطري في المناقشة، وحافظاً لسري
عند المباشرة" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١:
ص ١٠٧).

ولا شك أن علاقة بهذا الرسوخ، وصدقة بهذا
العمق لا بد أن تنطوي على محبة صادقة، ومودة خالصة،
ومن الواجب أن ينتج عنها، وتترتب عليها أمور مهمة،
ليس أقلها تلبية كل طرف لمطالب صاحبه، بل والمبادرة
لتلمس احتياجاته، وسد خلته. فهل استفاد كاتب
النهج من أبي إسحاق الصابي عند كتابة نهج البلاغة؟

لا بد من القول بأن الرضي كان معجباً أيما إعجاب
بقدره أبي إسحاق الأسلوبية العالية في الكتابة، وثقته
بتمكنه من ناصيتها. وقد عبر الشريف الرضي عن
إعجابه ذلك شعراً ونثراً في كثير من المناسبات، وفي
كل القصائد والمقطوعات النثرية التي رثاها بها التي
مرت معنا قبل قليل، ومن ذلك أيضاً ما قاله في إحدى
المناسبات، مخاطباً الصابي بعد أن شكاً إليه حاله
الضعيفة، وعدم قدرته على الحركة، إلا أن يحمل على
المحففة عند قضاء حوائجه: (الشريف الرضي، ١٩٩٤:
٥٤١/٢، وانظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١:
ص ٢٤، وابن حمدون، ١٩٩٧: ٤/٤٢٥):

لئن رام قبضاً من بنائك حادث

لقد عاضنا منك انبساط جنان

إن تمضٍ فالمجد المرجب خالد
أو تفنٍ فالكلم العظام بواقِي
مَشْحُوذَةٌ تَدْمَى بِغَيْرِ مَضَارِبٍ
كالسيف أطلق في طلي الأعناق
يقبلن كالجيش المغير يؤمه
كَمِشُ الإِرَارِ مُقْلَصٌ عَن سَاقِ
قرطات أذان الملوك خليقة
بمواضع التيجان والأطواق
عقدوا بها المجد الشرود وأثلوا
دَرَجاً إِلَى شَرَفِ العُلَى وَمَرَاقِي
أَوْتَرَتْهَا أَيَّامٌ بَاعَكَ صَلْبٌ
وَكَدَدَتْهَا بِالنَّزَعِ وَالإِغْرَاقِ
حَتَّى إِذَا مَرِحَتْ قُورَاكَ شَدَدَتْهَا

باسم على عقب الليالي باقي

كَنَجَائِبٍ قَعَدَتْ بِهَا أَرْمَاقُهَا

مَحْسُورَةٌ، فَمَشَيْنَ بِالْأَعْرَاقِ

كما رثاه نثراً في إحدى رسائله فقال عنه: "فأعزز
علي بذلك الوجه الواضح واللسان الخطار، كيف
سكن بعد النَّزْوَانِ؟ ووقف بعد الجَوْلَانِ؟ وذلك الجنان
الذي كان ينبوع البلاغة، وقرارة الفصاحة، كيف
غاض بعد الجِثَامِ حَوْضُهُ، وَصَوَّحَ بعد الاخضرار
روضُهُ؟ وتلك الأنامل التي كانت منابت البيان،
ومغارس الإحسان، كيف عاث اليلَى في أطرافها؟
وتحَيَّفَ الزمان من أقطارها؟... لقد وجدتُ به وَجَدٌ

لذا فإنه من الراجح أن بلاغة الصابي وفصاحته، وقدرته العالية على الإنشاء، وانسيابيته في الأداء الكتابي، حتى عده الصاحب بن عباد أحد: "كتاب الدنيا وبلغاء العصر" (انظر الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٩٢)، هي التي رشحته لدى الرضي لِيُسْتَفَادَ من أسلوبه وطريقته عند الكتابة باسم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ليكون للصابي تأثير واضح- وإن بطريقة غير مباشرة- في كتابة نهج البلاغة. ولا غرو في ذلك، فبالإضافة إلى بلاغته وفصاحته، فإن شخصية أبي إسحاق الصابي تميزت بالقدرة اللغوية البارعة، والثقافة الأدبية الواسعة، والموهبة الشعرية الراقية، والإلمام بعادات العرب وأخلاقهم وتقاليدهم في الجاهلية والإسلام، حتى أصبحت بلاغته ورسائله موضع شوق وسلوة، يستمتع الجمهور بقراءتها، والاطلاع عليها، يقول أحد الشعراء: (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٨٧، وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/١٣٢):

أصبحت مشتاقاً حليف صباية

برسائل الصابي أبي إسحاق

صوب البلاغة والحلاوة والحجى

ذوب البراعة سلوة العشاق

طوراً كما رق النسيم، وتارة

تحكي لنا الأطواق في الأعناق

لا يبلغُ البلغاءُ شأواً مُبرِّزاً

كُتبتُ بدائعهُ على الأحقادِ

وإن بُرّ من ذاك الجناح مطاره

فرب مقال منك ذي طـيران

وإن أفعدتك النائبات فطالما

سرى موقراً من مجدك المـلوان

وإن هدمت منك الخطوب بمرها

فشم لسان للمناقب بان

مآثر تبقى ما رأى الشمس ناظر

وما سمعت من سامع أذنان

ويقول مخاطباً له في إحدى رسائله: "وبحره -أدام

الله عزه- وإن كثر انتزاحه من جماته، وطال امتياحه من

دفعاته، فهو البحر الذي لا يكدره نهز الدلاء، ولا ينفذ

لججه تناوب الظماء، ولا تنقصه واردات الهموم

بورودها، ولا وافدات النوائب بوفودها، بل كلما زاد

تزاحم وارديه ازداد تدافعاً غواربه وهواديه. وإنما ينزح

الدهر بكروره، وينقص الزمان بمروره، قليلاً في قلب

غيره لا مصاب عليه، ولا مواد له، ولا يفيض إلا لمعاً،

ولا يجود إلا مكودداً مستكرهاً، فكيف ببحرٍ مدافع

الكلام تدفع غررها إليه، وشعاب الأفكار تتقابل

مسائلها عليه، فأقول كما قال أبو الطيب المتنبي:

فلا غيضت بحارك يا جموماً

على علل الغرائب والدخال"

(انظر الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص:

٧٤-٧٥).

وما بلغوا [هكذا، والصحيح بلغه] أدام الله علوه من أهلها المعادين، كانوا للملة العادلين عن سبيل الله [هكذا] ^(١)، حتى استنزهم عن معقل بعد معقل، واستباحهم في موبل بعد موبل، وقتل حماهم وأفنى كرائمهم، وأباد خضراءهم وغبراءهم، وعفى معالمهم وآثارهم، وألجأهم إلى الإذعان وطلب الأمان، وتسليم الرهائن، والإفراج عن الذخائر، والدخول في عصمة المسلمين" (انظر الصابي، د.ت: ص ٥٥). ويكتب عن الوزير ابن بقية عن الحادثة نفسها: "وصل كتاب مولانا الأمير عضد الدولة أطال الله بقاءه، مبشراً بما وليه الله به من الفتح العظيم، والمنح الجسيم في الإيقاع بطوائف القفص والبلوص، ومقتصاً حالهم كانت في المقام على المعهود من كفرهم وضلالهم وعيهم وفسادهم، واستحلالهم ما حرم الله من أموال أهل الملة والذمة ودمائهم، وما كان بلغه أيده الله في إطفاء نائرتهم، وإخماد جمرتهم، واستنزاهم عن معاقلمهم، والإيغال في طلبهم، والنكاية فيهم، والإيخان لهم، حتى كفوا ونزعوا واتعظوا وانزعوا" (انظر الصابي، د.ت: ص ٥٧). كما كتب هو عن نفسه مهنتاً عضد الدولة بهذا الفتح فقال: "وقد استنجحت بما تلقاني من الخبر السار المبهج، والنبأ المؤنس المغبط، فيما ولي الله مولانا الأمير الجليل عضد الدولة به، من الظفر

ويقول الآخر: (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٨٨، وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/١٣٢):

يا بؤس من يمني بدمعٍ ساجمٍ

يهمي على حجب الفؤاد الواجم

لولا تعلله بكأس مدامية

ورسائل الصابي وشعر كساجم

كما أن لديه القدرة الكبيرة على التعبير عن نفسه، وعلى التعبير عن الآخرين والكتابة باسمهم شعراً ونثراً، لذلك قيل عنه في مقارنة بينه وبين صاحب بن عباد: إن "الصاحب كان يكتب كما يريد، وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٩٢). وقد وصف الثعالبي هذه العبارة أنها من أشقى ما سمعه، وأكثرها دلالة على توصيف ما يقوم به الصابي (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٩٢)، كما أنها ترجح كفة الصابي لتمييزه في الكتابة عن نفسه وعن غيره، بينما صاحب متميز في الكتابة عن نفسه لا عن غيره.

ومن طالع رسائله يجد صحة هذه المقولة في كتابته بالنيابة عن أناس متعددين، ابتداء من الخليفة وانتهاء بأشراف الناس، بل وكتابته عن الحادثة الواحدة نيابة عن عدة أشخاص بأساليب مختلفة؛ فهذا هو يكتب - مثلاً - عن عز الدولة مهنتاً لعضد الدولة بفتح جبال القفص والبلوص، فيقول: "وصل كتاب سيدي الأمير عضد الدولة أدام الله عزه، بما سهله الله وعلى يده، ويسره بيمينه وبركته، من فتح جبال القفص والبلوص،

(١) وهو خطأ في ترتيب ألفاظ الجملة، وربما أن الصحيح:

الذين كانوا عن سبيل الله والملة من العادلين.

والتغيير التبديل والتسويد والتبييض: "أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألقها" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٩١، وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/١٣١).

ولم تقتصر إعانتة للآخرين على النشر، بل أعان بالشعر أيضًا؛ فقد حدث أبو الحسن محمد بن عبدالله الهاشمي أبا علي المحسن ابن أبي إسحاق الصابي قائلاً له: "أعاني والدك أبو إسحاق إبراهيم بن هلال في هجائي خمرة المجنونة بالشيء الكثير" (الحموي، ١٩٩٣: ١/١٥٥).

ومن دلائل أنه يكتب كما يراد، أنه كتب أكثر من عهدٍ عهدٍ به إلى الشريف الرضي؛ فكان للأخير إسهام كبير في توجيه الصابي للطريقة التي كتب بها العهد من حيث إعطاؤه الصلاحيات الواسعة، وإطلاق يده في التصرف بأعمال نقابة الطالبين؛ حيث جاء في رسالة بعثها الشريف الرضي إلى أبي إسحاق الصابي يرسم له الطريقة التي يراها مناسبة، والنموذج المثالي الذي يرتضيه الشريف الرضي، ويرضي طموحه في كتابة العهد الذي سيعهد به إليه: "هذا ما عهد فلان إلى فلان: ويذكر الخدمة القديمة، والحرمة الوكيدة التي للوالد أدام الله عزه في هذه الدولة سالفًا وأنفًا، وأولًا وآخرًا، ثم الإشارة إلى الخدمة التي اختصت [بها] منفردًا واشتملت على أطرافها مستبدًا، وأن ذلك اقتضى الإبقاء بي على غارب هذه المراقبة العلية، وكاهل هذه الرتبة السنية، وتُسْتَقْصَى الأوامر كلها، ويؤتَى على

بطوائف القفص والبلوص، والاستباحة لهم، والإتيان عليهم، والإدالة من مضارهم، والاقتصاص من سالف معارهم، والاشتغال عليهم بالبأس الشديد، والنصر العزيز، والقتل الذريع، والأسر العنيف، بعد تقديم الإعذار والإنذار، واستعمال الإبقاء والإنظار" (انظر الصابي، د.ت: ص ٦١).

فهذه ثلاثة نماذج من كتابة أبي إسحاق في موضوع واحد، بثلاثة أساليب مختلفة، كتبها بقلمه نيابة عن ثلاث شخصيات متعددة، إحداها عن نفسه هو، لكنها مع ذلك متقاربة الأسلوب، يعرف من يقرأها أن كاتبها واحد، مما يدل على قدرته على تقمص الشخصيات وتعدد المواهب، كما يؤكد ما قيل عنه من أنه يكتب كما يراد له أن يكتب.

بل إنه كان يؤلف عن الآخرين كتبًا؛ فقد كلفه عضد الدولة البويهية تخفيفًا له من عقوبة السجن، بتأليف كتاب عن أخبار الدولة البويهية وتاريخها، "فعمل الكتاب، فكان إذا ارتفع جزء منه حمل إلى الحضرة العضدية حتى يقرأه ويتصفحها ويزيد فيه وينقص منه، فلما تكامل على ما أراده، حرر وحمل كاملاً محرراً، فيقال: إنه قرئ عليه في أسبوع" (الحموي، ١٩٩٣: ١/١٣٨)، فهذا هو الصابي ألف الكتاب المطلوب منه تأليفه، على الرغم من عدم اقتناعه بما يكتب، حيث روي عنه أنه كان يقول عندما سئل عن عمله التألفي هذا، وسط انشغاله بالتعليق

بتقليد النقابة وتجديد الولاية، وكان عهداً ميمون النقيبة مبارك الشيمة، لأن الأمر الذي التمس له انتجز سريعاً، وإنقاد مطيعاً" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٩).

ونظراً لطبيعة مهنته، وهي الكتابة للخلفاء والوزراء، فإنَّ الصابي يتميز بالثقافة الإسلامية الواسعة، والعلوم الشرعية المتنوعة، وبحفظ القرآن الكريم، وكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، حتى وصفه أبو منصور الثعالبي بأنه كان "يحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلمه" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٨٨)، ويضيف قائلاً: "وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله، التي أحسن فيها كل الإحسان، وحلاها بأي من القرآن" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٨٨) (٣).

كما يتميز الصابي بالأخلاق العالية والصفات الجليلة السامية؛ فقد أحبه الكثير من رؤسائه من الخلفاء والوزراء، ومرؤوسيه من الكتاب وموظفي الدواوين حتى قال أبو منصور الثعالبي عنه في تلك الناحية من خلقه وأدبه: "كان يعاشر المسلمين أحسن عشرة، ويخدم الأكابر أرفع خدمة، ويساعدهم على صيام شهر رمضان" (الثعالبي، ١٩٨٣: ٢/٢٨٨،

شروط النقابة بأسرها، ويقال: فأفردناك بمكان أبيك من النقابة على أهلك وذويك في كل البلاد شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً، ونطنا بك النظر في مصالح المساجد بمدينة السلام لتسد خللها، وتلم شعثها. وجعلنا إليك مع ذلك خلافة والدك على المظالم والتسيير بالحجيج في أيام المواسم... ويعتمد التطويل في هذا العهد؛ فإنه أطول لشكري، وأبعد لغاية امتدادي ونشري إن شاء الله وهو حسبي ونعم المعين" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٣-٧٥) (٤). وكتب إليه مرة أخرى يطلب منه كتابة عهد آخر لمنصب وعده به الخليفة الطائع لله منها قوله: "وقد شرع لي الآن في كيت وكيت من الأعمال، والذي أسأله، أدام الله تأييده، أن يفرغ لي نفسه النفيسة، حرسها الله، في إنشاء عهد إليّ بذلك، عن مولانا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، جارياً على رسمه في إيراد الغرر، وإزواج الفقر، والاستكثار من المعاني المضئية، والألفاظ الجليلة... كما فعل بالعهد المتقدم له" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٩)، وقد كان الرضي راضياً تمام الرضا عن العهد السابق، ويرى أن ما تحقق له من إتمام ذلك العهد على وجه السرعة، إنها هو من بركات الصابي الذي كتبه؛ فقال في رسالته مكملًا: "وقد كان، أدام الله تأييده، تفضل بإنشاء العهد الذي سألته بإنشاءه

(٢) انظر عن اقتباسات الصابي من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر والأمثال لدى (السعدي، ٢٠٠٩: ص: ٢١٦-٢١٩).

(١) انظر نص العهد الذي كتبه أبو إسحاق للشريف الرضي لدى (ابن الأثير، د.ت: ١/٢٢١-٢٢٦).

وانظر الحموي، ١٩٩٣: ١/١٣٢).

وكان التواضع من أبرز صفاته، فعندما استجاب الصابي لنداء الرضي؛ وكتب ما طلبه منه، أرسله إليه مع خطاب اعتذار عن التقصير، وتواضع منه، وهو الكاتب الكبير أمام صديقه الشاب الطامح، يقول فيه: "والآن فأمره المسموع المطاع، وقد تلقيته بالبدار والإسراع... والله يا سيدي لو كتبت أنت ما استكتبتنيه، وكفيت نفسك ما استكفيتنيه، لكنت أجراً مني يداً ولساناً، وأطول شأواً وميداناً، وأكثر إصابة وإحساناً" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٧٦). وفي خطاب آخر يكرر الصابي مقولته بكل تواضع، بأنه ودَّ لو تولى الرضي كتابة ما يريده بنفسه حين قال: "وأنا أمتثل ما رسمه أدام الله تأييده في أمر العهد الثاني على ما حده ومثله ورتبه وقرره. ولولا تخوفي من مخالفة مراسمه، وتخرجي من الوقوف عن أوامره، لما أجبت إلى هذه الحال، علماً مني بأنه - أدام الله تأييده - إذا تولاه بنفسه، وربما بالعفو من هاجسه، كان أفرس مني على حصانها، وأحذق بتصريف عنانها" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٨٠).

ومن أخلاقه العالية أيضاً، حفظه للأسرار، وكتابتها عن البعيد والقريب، وفيما يبدو فقد كان بين الرضي والصابي أسرار يكتتابها أشارا إليها كلاهما؛ الأول حينما قال في رثاء صاحبه: "لقد وجدتُ به وَجَدَ الرُّؤُومَ بِيَكْرَهَا وقد فَقدْتُهُ، والبَعُومِ بظلالها وقد أَضَلَّتُهُ، وسلبنيه الزمان

أنس ما كنت بفضله، وأحوج ما كنت إلى مثله، شاحذا لخاطري في المناقشة، وحافظاً لسري عند المباتة" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ١٠٧)، والصابي عندما أرسل إلى الشريف خمس مقطوعات موضوعها حفظ السر سائلاً له أن يحكم فيها، ويختار الأفضل منها، فيرد عليه الآخر بالثناء والإعجاب (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٨٢-٩٣)، وقد كان تفضيل الشريف الرضي للمقطوعة الآتية من بين مقطوعات الصابي الأخرى، معللاً ذلك بأسباب ذكرها في جوابه: (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٩١-٩٢، وابن حمدون، ١٩٩٧: ٣/١٥٣-١٥٤، والنويري، ٢٠٠٤: ٦/٨١):

وللسر فيما بين جنبي مكنم

خفي قصي عن مدارج أنفاسي

أضن به ضني بموضع حفظه

فأحميه عن إحساس غيري وإحساسي

فقد صار كالمعدوم لا يستطيعه

يقين ولا ظن بخلق من الناس

كأني من فرط احتفاظي أضعته

فبعضي له واع وبعضي له ناسي

ومن ضمن جواب الرضي لصاحبه الصابي تعليقاً

على المقطوعة السابقة قوله: "وإنما الفضيلة لمن إذا أودع

سرًا كان نجياً لفكره، وضجيجاً لذكره، ومصورًا في

أقصى أحشائه، ومطبوعاً في طينة سويدائه، وهو مع

١١٦-١١١: ١٩٨٤، والمطروودي، ١٣٠-١٢٩/١، والمطروودي، ١٩٩٢: ص ٤٢٠-٤٢٣؛ فأراد أن يضع بصمة، ويترك أثراً، وينجز مهمة تقيده في سجل الخالدين، بتأليف نهج البلاغة الذي ارتبط اسمه باسم جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي كان يتشيع له، ويفخر به، ويغالي في حبه والدفاع عنه (انظر الشريف الرضي، ١٩٧٧، مقدمة المحقق عبدالفتاح الحلو: ٤٦/١-٤٨، والحلو، ١٩٨٦: ٩٦/١ وما بعدها)، ولعل مما زاده حرصاً على إظهار الكتاب ما يرى من عدم تمكنه من بلوغ مراتب سياسية عليا بلغها خلفاء وملوك وأمراء لا يدانونه في الشرف، ولا في المواهب، ولا في الكفاءة، فهذا هو يخاطب الخليفة القادر بالله، ويتعالى عليه، ويرى أنه لا يقل عنه مرتبة وشرفاً وفخاراً، ما عدا مرتبة الخلافة: (الشريف الرضي، ١٩٩٤: ٤٢/٢، وانظر الثعالبي، ١٩٨٣: ١٦٣/٣-١٦٤):

عطفاً أمير المؤمنين فإننا

في دوحه العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت

أبدًا كلانا في المعالي معرق

إلا الخلافة ميزتك فإنني

أنا عاطل منها وأنت مطوق

فكأنه يريد منافسة هؤلاء الخلفاء في أمر لا

يستطيعون مجاراته فيه. ولم ير غضاضة في الاستعانة

ذلك يَزُمُّهُ وَيَحْطُمُّهُ، ويحفظه ويكتمه" (الصابي والشريف الرضي، ١٩٦١ ص: ٩٣).

فما هو السر الذي كانا يكتمانه؟ وهل إرسال الصابي هذه المقطوعات الشعرية إلى الشريف الرضي تعبير عن تعهد منه بحفظ سر صاحبه؟ وهل ثناء الرضي على المقطوعات، والإشادة بمعانيها وألفاظها إقرار منه على هذا التعهد؟ ربما كان ذلك كذلك.

ولعل السر الذي كانا يكتمانه هو استفادة كاتب النهج من أسلوب الكاتب المبدع أبي إسحاق الصابي في الكتابة، وأدائه في التعبير عن نفسه وعن الآخرين.

وهنا يأتي تساؤل مهم آخر وهو: هل أثر أبو إسحاق الصابي فعلياً في كتابة نهج البلاغة؟ وإذا حدث هذا فما هي دلائل حدوثه؟

لا شك أن هذا تساؤل كبير وخطير في الوقت نفسه؛ نظراً للقداسة التي نظر بها إلى نهج البلاغة، ونظراً إلى نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وللهالة الكبيرة التي أضفيت على جامعته الشريف الرضي رحمه الله.

لكن يمكن القول أن السنين العشر التي أمضاها الشريف الرضي في علاقته الحميمة مع أبي إسحاق الصابي كانت هي المدة التي نما فيها الرضي ونبغ، وبلغ مبلغ الرجال من سن الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين تقريباً، واتضح له معالم الطريق، ورسم طريقه في الحياة، وبلغ طموحه مبلغه (الحلو، ١٩٨٦:

خطب النهج مع أسلوب كتابة أبي إسحاق الصابي، يمكن ملاحظة التشابه الكبير، والتطابق العجيب في كثير من المواقع، وفي كثير من الألفاظ، وفي مقدمات الخطب، وبخاصة التحميدات في أوائلها، وفي الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي وصف القرآن الكريم، وفي أوصاف أخرى، بحيث لو وضع نصان أحدهما من نهج البلاغة، والآخر من ترسل أبي إسحاق الصابي، فلن يستطيع القارئ التفريق بينهما، أو تحديد أيهما من نهج البلاغة وأيها من كتابات الصابي.

بأسلوب صاحبه وخليله أبي إسحاق الصابي -خير كتاب زمانه فصاحة وبلاغة ومثانة أسلوب- عندما أراد أن يكتب عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن يقتفي أثره، وقد يستعين ببعض ما كتبه أبو إسحاق نفسه؛ فإذا كان الصابي يكتب باسم الخلفاء والوزراء، فعلي أولى منهم بذلك في رأي الرضي، وبخاصة أن التأليف هو بإشرافه شخصياً بوصفه حفيد أمير المؤمنين والنائب عنه.

وعلى الرغم من أن كتاب نهج البلاغة لم يخرج إلى الوجود إلا بعد وفاة الصابي بسنوات ذوات عدد؛ أي أن الرضي أخرجه بعد الأربعمئة للهجرة (نور الدين، ١٩٩٠: ص ٢٣)، بينما توفي الصابي قبل ذلك بأكثر من خمسة عشر عامًا، فربما أن الرضي تعمد تأخير إخراج الكتاب حتى ينسى الناس أبا إسحاق، وتحمده الهالة التي كانت تصاحب كتاباته عند صدورها.

أما دلائل أثر أبي إسحاق الصابي في كتابة نهج البلاغة فإنه بالنظرة العلمية المتجردة، وبتطبيق المنهج الأسلوبى المقارن^(١)، وبمقارنة أسلوب كتابة بعض

=اشتركا في الموضوع، أو الغرض العام... أو اشتراكا في المؤلف مع اختلاف في الموضوع أو الغرض، أو في جنس الكتابة، كما يكون الاشتراك في نوع الأسلوب فقط... ولا شك أن مجال الدراسة يكون أوسع ونتيجة البحث أثمر كلما كانت عناصر الاشتراك بين الأثرين أكبر" (الطرابلسي، ١٩٨٢: ص ٨٨). وحق هذه المنهجية أن تسمى "الأسلوبية الموازنة" لأنها في نطاق لغة واحدة، لكنها عرفت بهذا الاسم "الأسلوبية المقارنة"، وربطت بصاحب فكرتها محمد الهادي الطرابلسي، فلم نشأ تعديلها، وهي منهجية رأينا مناسبة الأخذ بها لدراسة هذا البحث. وتختلف هذه المنهجية عن الأسلوبية المقارنة التي بدأها شارل بالي، وعني بها المختصون في اللغات والترجمة بعد ذلك، كون الأخيرة تقارن بين لغتين مختلفتين أو أكثر. (انظر أبو العدوس، ٢٠٠٧: ص ٧٩)، وعن الأسلوبية بشكل عام انظر: الشايب، ٢٠٠٣، والمسدي، ١٩٧٧، ومصلوح، ١٩٩٢، ومحسب، ٢٠١١.

(١) الأسلوبية المقارنة هي منهج "يدرس أساليب الكلام في مستوى معين من مستويات اللغة الواحدة... ويعمد إلى المقارنة بين الأساليب لتبين خصائصها عن طريق مقابلتها بغيرها" (انظر الطرابلسي، ١٩٨٢: ص ٨٧). فشرطا "الأسلوبية المقارنة" هما دراسة الأساليب ومقارنتها في لغة واحدة، وبين نصين أو أكثر. ويشترط في هذه النصوص "حد أدنى من الاشتراك... قد يكون =

بأعراضها، ولا تجاربه أقدام النظراء والأشكال، ولا
تزامه مناكب القرناء والأمثال" (الصابي، د.ت: ٢٣-
٢٤).^(١)

فهاتان التحميدتان تكادان تثبتان أنهم خرجتا من
منشئ واحد، فالأسلوب نفسه، من حيث استخدام
أداة النفي في كثير من الجمل، والأفكار المذكورة في
التحميدتين هي نفسها، فقد أثبتنا على الله، ونفيا عنه
الصفات، وأثبتنا له القدم والأزلية، وأنه خلق الخلق لا
عن تجربة معروفة، ولا عن خبرة سابقة. وأمّا العقيدة
في الله فهي واحدة في التحميدتين، عقيدة معتزلية تنفي
عن الله الصفات. وقد لحظ ذلك التشابه والتقارب في
التحميدات وفي غيرها زكي مبارك حين قال: "ولو
أنا قارنا هذه العبارات بأمثالها مما تكلم به الشريف
الرضي على لسان علي بن أبي طالب لرأينا الصابي
يستقي من نفس المنبع الذي استقى منه الشريف"
(مبارك، النشر الفني ٢: ١٩٧٥/٣٦٠). ولو أمعن
النظر قليلا لوجد أن الأمر بعكس ما قاله؛ فمن كتب
نهج البلاغة هو الذي استقى من كتابات أبي إسحاق
الصابي.

وإذا نظرنا إلى صلاتهما على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما يكتبانه فستجد تشابهاً كبيراً وتوافقاً عجباً
في صلاتهما؛ فهذا صاحب النهج يقول: "واصطفى
سبحانه من ولده [أي آدم عليه السلام] أنبياء، أخذ

فإذا أخذنا إحدى التحميدات الواردة في النهج
مثلاً، وهي: "الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون،
ولا يحصي نعماء العادون، ولا يؤدي حقه
المجتهدون... الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت
موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود... أول
الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال
التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له،
وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه... كائن لا عن
حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة،
وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات
والآلة... أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية
أجلها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا
همامة نفس اضطرب فيها" (الشريف الرضي، ١٩٨٨:
١٣/١-١٥).

وبمقارنتها بإحدى تحميدات أبي إسحاق الصابي
وهي قوله: "والحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين،
الوحيد الفريد العلي المجيد، الذي لا يوصف إلا بسلب
الصفات، ولا ينعت إلا برفع النعوت، الأزلي بلا
ابتداء، الأبدى بلا انتهاء، القديم لا منذ أمد محدود،
الدائم لا إلى أجل معلوم معدود، الفاعل لا عن مادة
استمدتها، الصانع لا بألة استعملها، الذي لا تدركه
الأعين بالحاظها، ولا تحده الألسن بألفاظها ولا تخلقه
العصور بمرورها، ولا تهرمه الدهور بكرورها، ولا
تضارعه الأجسام بأقطارها، ولا تجانسه الصور

(١) وانظر تحميدات مشابهة ص: ٤٥ و ٧٢.

آخرهم في الدنيا عصراً، وأولهم يوم الدين ذكراً، وأرجحهم عند الله ميزاناً، وأوضحهم حجة وبرهاناً، وأبعدهم في الفضل والغاية، وأبهرهم معجزة وآية، محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً، الذي اتخذ الله صفيّاً وحبيباً، وأرسله إلى عباده بشيراً ونذيراً، على حين ذهاب منهم مع الشيطان، وصدوف عن الرحمن، وتقطيع للأرحام، وسفك للدماء الحرام، واقتراف للجرائم، واستحلال للمآثم، أنوفهم في المعاصي حمية، ونفوسهم في غير ذات الله آبية، يدعون معه الشركاء، ويضيفون إليه الأكفاء، ويعبدون من دونه ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئاً" (الصابي، د.ت: ص ٢٤).

فكلاهما اتبع الترتيب نفسه في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فابتدأ بذكر الأنبياء قبله، وأنهم جاءوا لإرشاد العباد، وإنقاذهم من الشرك، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وأن الله سبحانه ختم أنبياءه بخيرهم عنده، وأرفعهم مقاماً، وأفضلهم مكانة، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مع ذكر ما كان عليه العرب حين بُعث من الإشراف بالله، واتباع الهوى والجهالة. فهذا التوافق العجيب في الترتيب، وهذا التقارب في الأسلوب والتركيب والصيغ والألفاظ يدل على ما ذكرناه من يدٍ راسخة، وبصمة واضحة لأبي إسحاق الصابي في صياغة بعض خطب نهج البلاغة.

أما وصف القرآن الكريم فقد تطرق الصابي للحديث عنه، مثلما تحدث عنه النهج من حيث الإطالة

على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره، من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييمهم، وآجال تفتينهم... إلى أن بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه، لإنجاز عِدَّتِهِ، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٢١-٢٢).

ويقول أيضاً مؤكداً ما كان عليه أهل الجاهلية من شرك عظيم وضلال مبین وحياة بائسة: "إن الله بعث محمداً صلى الله عليه نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، منيخون بين حجارة خُشنٍ، وحيات صُممٍ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشِب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم. الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٧٣).

وأما أبو إسحاق الصابي فيقول: "وبعث إليهم رسلاً منهم يهدونهم إلى الصراط المستقيم، والفوز العظيم، ويعدلون بهم عن المسلك الذميم، والمورد الوخيم، فكان

وأما العهود^(١)، فإن في نهج البلاغة عهداً واحداً منسوباً لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه كتبه للأشتر النخعي (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/٢٤٠-٢٦٥)، وهو شبيه في بعض عناصره ببعض العهود التي كتبها أبو إسحاق الصابي عن الخلفاء العباسيين؛ ومنها العهد الذي كتبه عن الخليفة الطائع لله لأبي الحسن علي ابن ركن الدولة الملقب بفخر الدولة (الصابي، د.ت: ص ٨٢-٩٧). ومن عناصر التشابه في هذين العهدين الأمر بتقوى الله في بدايتهما، والوصية بالعبادة بالرعية، وعدم الاحتجاب عنهم، والإحسان إليهم والرحمة بهم، وبخاصة الأيتام والمساكين وذوي الحاجات منهم، ورعاية طبقات رجال الدولة في الولاية؛ ومن أهمها الجند والقضاة والتجار وأهل الصناعة، وإعطاء كل ذي حق حقه منهم، والعناية بالثغور والمرابطين فيها، والاستجابة للصلح إذا دعا العدو إليه، والوفاء بالعهد إليهم، والتحذير من سفك الدماء بغير حق،

في وصفه، والدعوة إلى العمل به؛ فالنهج يقول: "ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحها، وسراجاً لا يخبو توقده... جعله الله رياً لعطش العلماء، وريباً لقلوب الفقهاء، ومحاجٍ لطرف الصلحاء، ودواءً ليس بعه دواء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن اتهم به، وعذراً لمن انتحلته، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حمه، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٤٦٤-٤٦٥).

والصابي أبو إسحاق يقول عن القرآن الكريم: "وأمره بأن ياتم في أمره بالقرآن، ويستضيء بما فيه من التبيان وألا يورد ولا يصدر إلا به... فإنه الطريق المهيح، والحكم المقنع، والحجة الواضحة، والمحجة اللائحة، والبرهان الباهر، والدليل الظاهر، والمسلك الجدد، والسبيل الوسط، والبشير بالثواب، والنذير بالعقاب، والزعيم بالنجاة، والأمان من الهلكة، والكاشف للشبه، والمنور للظلم، والهادي للحق، والناطق بالصدق، وبه يعلم الجاهل، ويعلم العالم، وينتبه الساهي، ويستذكر اللاهي، ويتعظ المسرف، ويزدجر الظالم، ويتوب المخطيء، ويقلع المقصر... " (الصابي، د.ت: ص ٣٤).

(١) ورد العهد في لسان العرب بمعنى: "التقدم إلى المرء في الشيء. والعهد: الذي يكتب للولادة وهو مشتق منه، والجمع عهدٌ، وقد عهد إليه عهداً" (انظر ابن منظور، جذر(ع ه د)). وفي الاصطلاح: هو صيغة التكليف الذي يكلف الخليفة بموجبه رجلاً من رجاله بإحدى الوزارات أو الولايات أو أحد المناصب القضائية أو غيرها، ويتضمن الوصف الوظيفي للمهمة المكلف بها، كما يتضمن بعض الوصايا الخاصة والعامة التي تهم المكلف بالعمل.

وبالعقد إذا عاقد، غير خافر ذمة، ولا جارح أمانة، فقد أمر الله بالوفاء فقال: "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" ونهى عن النكث فقال: "ومن نكث فإنما ينكث على نفسه" (الصابي، د.ت: ص ٩٠).

وفي العنصر الثاني الذي اتفق فيه العهدهان وهو استقراء آثار الولاية السابقين، واتباع المحسن منهم لا المسيء يقول في نهج البلاغة: "شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأئمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظالماً" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/٢٤٥)، ويقول أيضاً في العهد نفسه: "والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله، أو فريضة في كتاب الله؛ فتقتدي بها شاهدته مما عملنا به فيها" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/٢٦٤)، ويقول الصابي: "ويستقري آثار الولاية قبله عليها فيما أزوهُ من خير أو شر إليها؛ فيتقَرَّ ما طاب وحسن، ويزيل ما قبح وخبث، فإن من غرس الخير [يُجزي] ^(١) بمعسول ثمرته، ومن زرع الشر يصلى بمرور ريعه، والله تعالى يقول: "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً. كذلك

والاستفادة من أحكام السابقين العادلة. ونكتفي بالتركيز على عنصرين متشابهين من عناصر هذين العهدين لا يأتیان عادة ضمن بناء العهود؛ أما التشابه في باقي العناصر فأمر متوقع؛ فالوصية بتقوى الله مثلاً غير مستغرب وجودها في أي عهد من العهود في القرون الأولى، وكذلك الوصية بالرعية، والإحسان إليهم، وعدم الاحتجاب عنهم. لكن ما يلفت النظر هو هذا التشابه في هذين العنصرين؛ وهما الرضا بالصلح من العدو والوفاء بالعهود، والثاني هو استقراء آثار الولاية السابقين، واتباع المحسن منهم لا المسيء؛ ففي النهج يقول عن الصلح مع العدو: "ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك لله فيه رضا؛ فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك... وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحطَّ عهدك بالوفاء، وازعَ ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنةً دون ما أعطيت؛ فإنه ليس من فرائض شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود... فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تحتلن عدوك... وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفصاه بين العباد برحمته، وحرماً يسكنون إلى منعتة، ويستفيضون إلى جواره" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/٢٣٠). ويقول الصابي: "وأن يبذل أمانه لمن طلبه، ويعرضه على من لم يطلبه، ويفي بالعهد إذا عاهد،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

نصرف الآيات لقوم يشكرون" (الصابي، د.ت: ص ٩٤).
وفي الأمر بفتح الباب للرعية واستقبالهم، وعدم تفضيل القوي على الضعيف منهم، تتقارب أفكار كل من صاحب النهج والصابي وألفاظهما، حيث يقول في النهج: "واخفض للرعية جناحك وابسط لهم وجهك وأن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العطاء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/٢٦١).
والصابي يقول: "وأمره بفتح الباب ورفع الحجاب، وبالبروز للخصوم وإيصالهم إليه على العموم، وأن يناظر بين المتحاكمين بالسوية، ويعدل فيهم عند القضية، ويعطيهم من نفسه أقساطاً متكافئة، وينزلهم من مجالسه منازل متساوية ولا يفضل خصماً على صاحبه في لحظ ولا لفظ، ولا يقويه عليه بقول ولا فعل، إذ كان الله جل اسمه قد جعل هذا الحاكم سنن الحق وميزان القسط، وسبيل العدل في القبض والبسط، فسوى بين الدنيء والشريف، وأخذ به من القوي للضعيف" (الصابي، د.ت: ص ١١٩).

أما إذا انتقلنا إلى الوصف، فإن لدى الصابي قدرة كبيرة على الوصف، وتصرفاً واسعاً بالأساليب، جعلته في مقدمة كتاب القرن الرابع بلا منازع، وقد حفظت لنا المصادر الأدبية قطعاً نثرية تحوي أوصافاً كثيرة في جوانب متعددة^(١)؛ فقد وصف الطرد وعدده وآلاته، والحيوانات المستخدمة فيه كالكلاب والفهود والطيور وغيرها (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/٢٨١-٢٨٦)، وله صفة رمي البندق وآلاته (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/٢٧٨-٢٨١)، وصفة دعوة المظلوم (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/٤٢٧)، وصفة جارية (ابن حمدون، ١٩٩٧: ٥/٣٠٧-٣٠٨). وفي النهج عدد من الخطب والقطع النثرية التي تصف بعض المخلوقات كالطاووس (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٣٨٠-٣٩٤)، والخفاش (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٣٥٩-٣٦٠)، والذر والنمل (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/٦٦)، وغرائب الجراد (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ٢/٦٧-٦٨)، فما علاقة هذه الأوصاف بالصابي؟

يلحظ أن لدى الجانبين وصفاً للطيور والحشرات؛ ففي النهج وصف للطاووس والخفاش، والنمل

(١) وله أشعار كثيرة في الوصف؛ كوصف الشمعة والبق والقبيج [الحجل] وعتيدة الطيب [وعاؤه] (انظر ابن حمدون، ١٩٩٧: وترتيب أماكنها كما يأتي: ٥/٤١٥-٤١٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٢٨٩، ٢٩٠، ٤٢٩).

وها أنت ترى هذا التماثل الذي قد يصل إلى حد التمازج في الأفكار والألفاظ بين النصين؛ فكلاهما يأمر بالعدل، والتسوية بين القوي والضعيف، والمساواة بينهما في النظرة واللحظة.

وَعَرَابُ الْجَرَادِ، وَلَدَى الصَّابِي وَصَفَ لَطِيورَ الصَّيْدِ
نَثْرًا، وَوَصَفَ لِلقَّبِجِ وَالبِقِ شَعْرًا.
كما يلحظ على هذه الأوصاف لدى الجانبين
الإمعان في التفاصيل، والتعمق في الوصف، والاعتناء
بالزخرف اللفظي الدال على المهارة الكتابية؛ فإذا نظرنا
لوصف الطاووس في النهج فإنه يقول عنه: "وَمِنْ
أَعْجَبَهَا خَلْقًا الطَّاوُوسُ، الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ،
وَنَصَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْصِيدٍ، بِجَنَاحِ أَشْرَجِ قَصَبِهِ،
وَذَنَبِ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْتَى نَشَرَهُ مِنْ طِيَّهِ،
وَسَمَّا بِهِ مُطَلًّا عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيَّهُ.
يَحْتَالُ بِالْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ... تَحَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيٍّ مِنْ
فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ
خَالِصِ الْعِيقِيَانِ، وَفَلَذَ الزَّبْرَجِدِ... وَقَلَّ صِنْعُ إِلَّا وَقَدْ
أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ
دِيبَاجِهِ وَرَوْقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمُبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ
رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ" (الشريف الرضي، ١٩٨٨:
١/٣٩٤-٣٩٠)^(١).

وأما إذا انتقلنا إلى الألفاظ، فإن في تشابهها
وتكرارها لدى النهج، وفي رسائل الصابي أمثلة تدل
على التداخل الكبير، والتفكير الواحد، والثروة اللفظية
المشتركة؛ ففي النهج يقول: "مع قرب الزيال، وأزوف
الانتقال" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/١٥٧)،
ويقول أيضا: "وقربوا الظهور للزيال". وأما الصابي
فيقول: "وينعب غرابه بالزيال، وتحدى ركائبه
بالانتقال" (الصابي، د.ت: ص ١٠٨)، وفي النهج
يقول: "حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه" (الشريف
الرضي، ١٩٨٨: ١/١٢٠)، والصابي يقول: "حتى
ضرب الحق بجرانه" (الصابي، د.ت: ص ٢٤)،
ويقول في النهج: "سنخ أصل" (الشريف الرضي،
١٩٨٨: ١/٥٤) والصابي: "سنخ تلك الأرومة"
(الصابي، د.ت: ص ٤٧)، ويقول أيضا: "حتى
تكلفها من أجله من ليس في طبعه ولا سنخه"
(الصابي، د.ت: ص ٩٨) وقوله أيضا: "من ذلك
السنخ الشريف" (الصابي، د.ت: ص: ٧٣، وفي
النهج يقول: "فإنهم إن تمموا على فيالة هذا الرأي
انقطع نظام المسلمين" (الشريف الرضي، ١٩٨٨:

١) وفي وصف الخفاش انظر (الشريف الرضي، ١٩٨٨:
١/٣٥٩-٣٦٠)، وفي وصف الذرة والنملة: (٢/٦٦)،
وفي وصف غرائب الجراد: (٢/٦٧-٦٨).

وأما الصابي فإنه يقول في وصف الطيور الجوارح:
"وَعَلَى أَيْدِينَا جَوَارِحُ مُؤَلَّلَةٌ الْمُخَالِبِ وَالْمَنَاسِرِ، وَمُدْرَبَةٌ
النَّصَالِ وَالخَنَاجِرِ، طَاحِئَةٌ الْأَحَاظِ وَالْمَنَاطِرِ، بَعِيدَةٌ
الْمَرَامِي وَالْمَطَارِحِ، ذَكِيَّةُ الْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ، قَلِيلَةٌ

(١) وفي وصف الخفاش انظر (الشريف الرضي، ١٩٨٨:
١/٣٥٩-٣٦٠)، وفي وصف الذرة والنملة: (٢/٦٦)،
وفي وصف غرائب الجراد: (٢/٦٧-٦٨).

الرضي، ١٩٨٨: ١/٤١)، ولدى الصابي: "وما حصل في أيديهم من لص خاتل" (الصابي، د.ت: ص ٩٢)، وجاء في النهج قوله: "ولأقودن الظالم بخزامتة" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٣١٤)، وعند الصابي: "قادوه إلى ذلك بأزمة الصغار وخزائم الاضطرار" (الصابي، د.ت: ص ٩٣)، ويقول أيضًا: "ولا تنقاد إلى منافعها إلا بالخزائم" (الصابي، د.ت: ص ٩٩).

فالأدلة على أثر الصابي في كتابة نهج البلاغة بدت واضحة، والقرائن مثبتة، والآثار دالة، فهل استفاد من كتب نهج البلاغة من أسلوبه وطريقته، أم أنه اقتطع شيئاً من كتاباته وضمناها نهج البلاغة؛ ليتقوى بها، ويرتقي بأساليب النهج، وينفقه في سوق الكتاب والعلماء؛ فقد كان الصابي مثلاً احتذاه كثير من الكتاب من بعده، وتدارسوا مخاطباته ورسائله وأساليب كتابته فيها، وقد كان العلماء ينصحون الكتاب بالاطلاع على رسائل سابقهم من الكتاب المتقدمين "لما في النظر فيها من تنقيح القريحة، وإرشاد الخاطر، وتسهيل الطرق، والنسج على منوال المجيد، والاقتران بطريقة المحسن، واستدراك ما فات القاصر، والاحتراز مما أظهر النقد، ورد ما بهرجه السبك" (النويري، ٢٠٠٤: ٧/٣٠، وانظر القلقشندي، ١٩٢٢: ١/٢٢٧). ولذلك فقد ذكر القلقشندي في صبح الأعشى أن علي بن خلف دلل على صحة المقولة "الكتابة نسب" ب "ما نراه من اتفاق خواطرهم على

١/٤٠٤)، ويقول أيضًا: "واحذر صحابة من يفيل رأيه" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٤٠٤)، والصابي يقول: "إرخاء لب رجل فيل في الاعتماد عليه رأبي" (الصابي، د.ت: ص ٧٥)، وفي النهج يقول: "وعليكم بهذا السواد الأعظم... فاضربوا ثبجه" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٥٤)، ويقول أيضا: "ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذي أمواجها، وتصطفق متقاذفات أباجها" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٥٤)، والصابي يقول: "فتناولته بأطراف العذل ملوحا، ثم بإباجه مفصحا مصرحا" (الصابي، د.ت: ص ٧٥)، ويقول في النهج: "فاتقوا البدع، والزموا المهيع" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٣٣١)، ويقول الصابي: "وأمره أن يتخذ كتاب الله إمامًا متبعًا وطريقًا مهيعًا" (الصابي، د.ت: ص ٨٧)، ويقول أيضًا: "وأمره أن ياتم بالقرآن... فإنه الطريق المهيع" (الصابي، د.ت: ص ١٠٨)، وفي النهج يقول: "فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازا... فكونوا منها على أوفاز" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٣٠٧)، وأما الصابي فيقول: "فلينظر كل أحد منكم نفسه، وليعلم أنه... على شفير رحلة وأوفاز، وفي دار نقلة ومجاز" (الصابي، د.ت: ص ١٢٨)، وفي النهج: "فلم آت لا أبا لكم بجرا، ولا ختلتكم عن أمركم" (الشريف الرضي، ١٩٨٨: ١/٢٩٦)، ويقول أيضًا: "والله لا أكون كالضبع تنام... حتى... يخلتها راصدها" (الشريف

(٢٧١)، فليس بمستغرب إفادته في نهج البلاغة، مما أنشأه أبو إسحاق الصابي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ اقتباساً أو تضميناً أو اجتلاباً. والله أعلم.

شكر وتقدير

دُعِمَ هذا البحث من عمادة البحث العلمي، ومركز بحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

خاتمة

وبهذا يعلم أنه كان بين الشريف الرضي وأبي إسحاق الصابي صداقة حميمة، وعلاقة راسخة، وإعجاب متبادل، جمعها حب الأدب والشعر؛ فكان أحد آثار هذه الصداقة المهمة ترجيح الاستفادة من أسلوب أبي إسحاق الصابي وطريقته في كتابة أجزاء أدخلت ضمن ما أدخل في نهج البلاغة؛ دل على ذلك التقارب الكبير في الأساليب والتراكيب والوصف بين محتوى نهج البلاغة ومحتوى رسائل الصابي، وكذلك تقارب الألفاظ وتشابهها، كما رأينا في الأمثلة والشواهد التي مرت معنا في هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.

كثير من المعاني التي يستنبطونها، وتواردتهم فيها. ولولا تناسب الغرائز وتشابهها لم يكن أن يتواطؤوا في أكثر الأحوال على معانٍ متكافئة متوافية" (القلقشندي، ١٩٢٢: ١/٨١).

ولما كان الصابي من أبرز أهل هذه الصناعة فقد قلده من بعده، وحذوا حذوه، وعارضوه ببعض ما أنشأوه؛ ومن ذلك ما أورده القلقشندي من تأليف علي بن حمزة بن طلحة^(١) لكتابه "الاقتداء بالأفاضل" يعارض فيه أبرز الكتاب والخطباء كابن نباتة وقابوس بن وشمكير والصاحب بن عباد وأبي إسحاق الصابي؛ فنسج على منوال خطبهم ورسائلهم، والعهود التي كتبوها؛ "فجرد معانيها من ألفاظها، واخترع لها ألفاظاً غير ألفاظها، مع زيادة تنميق، ومراعاة ترصيف، على أتم نظام، وأحسن التتام" (القلقشندي، ١٩٢٢: ١/٢٦٦-٢٦٧). وقد ضرب القلقشندي مثلاً على ذلك برسالة أنشأها علي بن حمزة المذكور يعارض بها أبا إسحاق الصابي، وكان موضوعها إخباراً بمولود، بألفاظ مختلفة مع اتحاد في المعنى (القلقشندي، ١٩٢٢: ١/٢٦٧-٢٧١).

وإذا علمنا إعجاب الشريف الرضي بقدرات الصابي على الكتابة، وتصرفه في أساليبها على وجوه تثير الإعجاب، وطرق تحلب الأبواب، بل وتأثره بأسلوبه وطريقته في الكتابة (أبو عليوي، ١٩٨٦:

(١) انظر ترجمته لدى (الحموي، ١٩٩٣: ٤/١٦٥٦-١٦٥٧).

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني. *الكامل في التاريخ*. تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- أمين، أحمد. *فجر الإسلام*. ط ١٠، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
- البغدادي، الخطيب أبو بكر. *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*. تحقيق محمود الطحان، ط ١، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.
- البغدادي، الخطيب أبو بكر. *شرف أصحاب الحديث*. تحقيق د. محمد سعيد خطي أوغلي، ط ١، أنقرة: دار إحياء السنة النبوية، د.ت.
- برنجي، سليم. *الصابئة المندائيون.. دراسة في تاريخ معتقدات القوم المنسيين*. ط ١، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم. *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*. تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري. *يتمية الدهر في محاسن أهل العصر*. شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- حسن، محمد عبدالغني. *الشريف الرضي*. القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- الحسني، عبدالرزاق. *الصابئون في حاضرهم وماضيهم*. د.ن، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الخلو، عبدالفتاح محمد. *الشريف الرضي حياته ودراسة شعره*. ط ١، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- حمادة، محمد عمر. *تاريخ الصابئة المندائيين*. ط ١، دمشق: دار قتيبة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد. *التذكرة الحمدونية*. ط ١، بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن محمد. *معجم الأدباء*. تحقيق إحسان عباس، ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- درويش، محمد. *طاهر الخطابة في صدر الإسلام*. القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.
- الديباجي، محمد. *الأدباء الصابئة في العصر العباسي*. ط ١، الرباط: منشورات جامعة الحسن الثاني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*. تحقيق محمد علي البجاوي، ط ١، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
- الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر. *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير*

- ومفاتيح الغيب. ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٨١هـ/١٩٨١م.
- أبو رسلان، ندى. أبو إسحاق الصابي الكاتب والشاعر. رسالة ماجستير، لبنان، قسم اللغة العربية، الجامعة الأمريكية - بيروت، ١٩٨٧هـ/١٩٨٧م.
- الرشود، راشد. "نهج البلاغة بين عصرين... مقاربات ومقارنات أسلوبية"، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة سينشر بمشيئة الله في العدد القادم، (٢٠١٩م).
- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي. تحقيق علي حسن علي، ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- السعدي، قيس مغشغش. أبو إسحاق الصابي درر النثر وغرر الشعر. ط١، إربيل: وزارة الثقافة والشباب العراقية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.
- السيد، صبري إبراهيم. نهج البلاغة. ط١، الدوحة: دار الثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- سيوفي، نيكولا. الصابئة عقائدهم وتقاليدهم. ط١، دمشق: دار التكوين، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- الشايب، أحمد. الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط١٢، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي. ديوانه.. صنعة أبي حكيم الخبري. تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، بغداد: وزارة الإعلام العراقية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي. ديوانه. صححه وقدم له إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي. كتاب نهج البلاغة (وهو ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- شكر، ملحم. أضواء جديدة على الصابئين: صفحة من تاريخ الأديان في دار الإسلام. بيروت: منشورات الجمل، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبدالكريم ابن أبي بكر أحمد. الملل والنحل. تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.
- الصابي والشريف الرضي، رسائل الصابي والشريف الرضي. تحقيق محمد يوسف نجم. الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

- الصابي، أبو إسحاق إبراهيم بن هلال. المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي. جمع وتحقيق الأمير شكيب أرسلان، بيروت: دار النهضة الحديثة، د.ت.
- ضيف، شوقي. الفنّ ومذاهبه في النثر العربي. ط ٢، بيروت: مكتبة الأندلس، ١٩٥٦م.
- الطرابلسي، محمد الهادي. "معارضات شوقي بمنهجية الأسلوبية المقارنة"، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الأول، أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٢م، ص: ٨٥-٩٦.
- عباس، إحسان. الشريف الرضي. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٥٩م.
- أبو العدوس، يوسف. الأسلوبية الرؤية والتطبيق. ط ١، عمّان: دار المسيرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
- عليان، رشدي. الصابئون حرانين ومندائين. بغداد: مطبعة دار السلام، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- أبو عليوي، حسن. محمود الشريف الرضي: دراسة في عصره وأدبه. ط ١، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي. صبح الأعشى. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.
- قناوي، عبدالعظيم علي. "أبو إسحاق الصابي"، مجلة الرسالة، العدد (٢٣١)، (١٩٣٧م)، ٣٤-٣٩.
- كرد علي، محمد. الإسلام والحضارة العربية. ط ٣، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م.
- مبارك، زكي. عبقرية الشريف الرضي. ط ٢، القاهرة: دار كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢م.
- مبارك، زكي. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، بيروت: دار الجليل، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- محب، محيي الدين. الأسلوبيات الأدبية. ط ١، الرياض: من إصدارات كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- المدني، محمد نمر. الصابئة المندائيون: العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم حتى اليوم. دمشق: دار رسلان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- المسدّي، عبدالسلام. الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب. ط ٣، طرابلس الليبية: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م.
- مسلم، أبو الحسن النيسابوري مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- مصلوح، سعد. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية. ط ٢، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- المطرودي، محمد بن إبراهيم. الشريف الرضي، الرياض: من منشورات النادي الأدبي في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- المطرودي، محمد بن إبراهيم. الشريف المرتضى وأدبه. ط٢، الرياض: د.ن، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- مناع، هاشم صالح. الأدب العباسي. ط١، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي. لسان العرب. ط٢، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م.
- نور الدين، حسن جعفر. الشريف الرضي حياته وشعره. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق علي ملحم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.